Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّةُ جَامعةِ بَابِل للعُلومِ الإنسَانيّة
Vol.34/ No.1/ 2026 المجلد ٣٤/ العدد ١/ ٢٠٢٦

البُعد النَّصي عند العَلّامة الطَباطَبائي: مقاربة في ضوء اللسانيات النَّصيّة

رحيم مجيد راضي
كُليةُ التَّربية للبنات/ جامعة الشَّطرة
Raheem.majeed@utq.edu.iq

تاريخ استلام البحث: ٢٠٢٥/٨/٢٢ تاريخ قبول النشر: ٢٠٢٥/١٠/٧ تاريخ نشر البحث: ١/٢٢/ ٢٠٢٦

المستخلص

يدرس هذا البحث البعد النصي عند العلّامة الطباطبائي بالتركيز على الانسجام النصي في تفسيره الميزان، فالقرآن الكريم عنده نص مترابط يفسر بعضه بعضاً، وتتحقّق وحدته الدلالية من خلال شبكة من العلاقات المعنوية التي تجمع بين آياته، ويكشف العلّامة الطباطبائي عن انسجم داخلي يتجلّى في توجيه المعنى داخل السياق القرآني، وانسجام خارجي يظهر في الربط بين المحكم والمتشابه في بناء وحدة موضوعية كبرى تشمل المصحف بأكمله، وتبرز أهمية التأويل عنده بوصفه حقيقة واقعية يقَرَّب معناها بالألفاظ، مما يمنح النص بعداً دلالياً متكاملاً، وتخلص الدراسة إلى أنَّ رؤية العلّامة الطباطبائي تمثل نموذجاً متقدماً في إبراز الانسجام بوصفه عنصراً مركزياً لفهم النص القرآني.

الكلمات الدالة: الانسجام النَّصي، علم المناسبة، علم النَّص، العلامة الطباطبائي

The Textual Dimension in Allāmah al-Ṭabāṭabāʾī's Thought: A Text Linguistics Approach

Raheem Majeed Radi
College of Education for Women / University of Al-Shatra

Abstract

This study examines the textual dimension in ʿAllāmah al-Ṭabāṭabāʾī's al-Mīzān, emphasizing textual cohesion. For him, the Qur'an is an integrated text in which verses interpret one another, and its coherence arises from a network of interrelated meanings. Internal cohesion is manifested in the contextual shaping of meaning, while external cohesion appears in the interaction between the muhkam (clear) and mutashābih (ambiguous), forming a comprehensive thematic unity. Central to his approach is taʾwīl, regarded as an objective reality mediated by language. The study concludes that al-Ṭabāṭabāʾī provides a pioneering model in highlighting cohesion as essential to understanding the Qur'anic text .

Keywords: Textual cohesion, ʿIlm al-Munāsabah (Science of Appropriateness), Textology, ʿAllāmah al-abāṭabāʾī

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المُقدّمةُ

يَعدُّ النصُّ محوراً أساسياً في الدرس اللغوي الحديث، إذ انصبَّ اهتمام اللسانيات النصية على دراسته في أبعاده المختلفة، بوصفه وحدة دلالية متكاملة تتجاوز حدود الجملة، وقد مثّل هذا التوجه انتقالاً نوعياً من التركيز على البنية الجزئية إلى النظر في الكل النصي بما يحمله من علاقات ترابط واتساق وانسجام، ومن بين أعلام الفكر الإسلامي الذين أولوا النص عنايةً خاصة يبرز العلّامة محمد حسين الطباطبائي، الذي تجلّت رؤيته العميقة للنص القرآني في تفسيره الميزان، حيث قدم معالجةً دقيقة تكشف عن وعيٍ مبكّر بأبعاد النص، وبنيته، وصلاته الداخلية والخارجية.

وانطلاقاً من هذا التصور، جاء هذا البحث الموسوم: البعد النصي عند العلّامة الطباطبائي(مقاربة في ضوء اللسانيات النصية)، ليكشف عن مدى التقاء قراءاته التفسيرية مع منطلقات اللسانيات النصية الحديثة، مبرزاً معيار الانسجام في خطابه التفسيري، ومحلّلاً الأدوات التي اعتمدها في بناء المعنى، وبما أنَّ الانسجام يعنى ببحث الروابط الدلالية، والعلاقات المعنوية التي تسهم في تماسك النّصوص واتساقها، وإذا كان هذا المفهوم قد تبلور في اللسانيات الغربية الحديثة، فإن المتتبع لجهود العلّامة الطباطبائي في الميزان في تفسير القرآن يلحظ حضوراً جلياً لآليات الانسجام على مستوى البنية والدلالة، وهنا تبرز الإشكالية الجوهرية: كيف تتجلى ملامح الانسجام النّصي في تفسير الميزان للعلّامة الطباطبائي في ضوء الدراسات النّصية الحديثة؟ أو إلى أيِ حدٍّ يمكن القول إنَّ العلامة الطباطبائي قدم رؤية نصية سابقة أو موازية لما جاءت به الدراسات النّصية الغربية؟ هذا ما يجيب عنه البحث لاحقاً؟

1-1 خلفية البحث

هناك دراسات كثيرة تناولت المعايير النصية وتطبيقاتها على كتب المفسرين، ولاسيما تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، وكل باحث ادلى بدلوه وفقا للمنهج والتوجه المعرفي الذي يراه مناسبا ومن هذه الدراسات التي اطلع عليها الباحث:

١- تفْسير الميزانِ للسَّيد الطباطبائي (١٤٠٢هـ -١٩٨١م) دراسةٌ في ضَوءِ تحليل الخطاب.

اطروحة دكتوراه، للباحث: خير الدين علي الهادي سليمان إشراف: أ.د نجاح فاهم صابر العبيدي، جامعة كربلاء: كلية التربية للعلوم الإنسانية.

تناولت هذه الدراسة تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي من منظور اللسانيات النّصية، واستعرضت كيفية استخدامه آليات التماسك النّصي.

٢- البحث الدلالي في تفسير الميزان: دراسة في تحليل النص:د مشكور كاظم العوادي.

٣- المعايير النّصية في وثيقة مكة المكرمة: دراسة لسانية نصية بحث منشور في(مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد٢٩، العدد٥، ٢٠٢١م، للباحث بدر بن علي عبد القادر، وتحلل هذه الدراسة وثيقة مكة المكرمة باستخدام معايير اللسانيات النّصية، مما يوفر نموذجا تطبيقيا يمكن الاستفادة منه في تحليل نصوص تفسيرية.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

2-1 منهج البحث:

١- المنهج الوصفي التحليلي: يقوم على تتبع الظواهر النَّصية كما وردت في نصوص العلامة الطباطبائي، ثم تحليلها وتفسيرها على وفق الانسجام النصي.

٢-المنهج المقارن: من خلال مقابلة ما طرحه العلامة الطباطبائي في تفسيره مع ما جاءت به اللسانيات النَّصية من آليات، ومبادئ، للكشف عن مواطن التقاطع والاختلاف، وبيان مدى انفتاح النَّص التفسيري على الانسجام النَّصي.

١-٣ أهميةُ البحث

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يسعى إلى وصل التراث التفسيري الإسلامي بالمناهج اللسانية الحديثة، فيكشف عن أبعاد جديدة في تفسير الطباطبائي للنص القرآني، ويفتح آفاقاً أمام الباحثين لإعادة قراءة التراث برؤية نصية معاصرة.

١-٤ أهداف البحث

الكشف عن الانسجام النَّصي في تفسير العلامة الطباطبائي، من خلال ربط منجزه التفسيري بمفاهيم اللسانيات النَّصية الحديثة، بيان كيف استطاع العلامة الطباطبائي أن يوظّف آليات لغوية، ودلالية تجعل النَّص التفسيري وحدة متكاملة المعنى، ولذلك يهدف إلى اثبات بأنَّ التراث العربي زاخر بمفاهيم اللسانيات النصية، ولكن المناهج والمرجعيات المعرفية مختلفة.

١ - ٥ حدود البحث:

ينصرف هذا البحث إلى دراسة عيِنات مختارة من تفسير الميزان، بما يكشف عن المنهج النصي عند الطباطبائي، من غير التوسع في جميع مباحث التفسير أو القضايا العقدية والفقهية، كما تقتصر المقارنة على أبرز مفاهيم اللسانيات النصية المتعلقة الانسجام، من غير الغوص في جميع فروع اللسانيات التطبيقية.

الإطارُ النظري: المبحثُ الأوَّل: مَفهومُ النَّص، والمُناسبة:

٢- ١مفهومُ النَّص:

نال مصطلح النَّص حظًا وافرا في الدراسات اللغوية والأدبية والاجتماعية؛ لأنه ينتمي إلى المعرفة الكلية، وبحثت هذه الدراسات في مفهوم النَّص ومرجعياته، وأثره في المتلقي، على أنَّ البحث في الأصول العربية والاصطلاحية لكلمة نصٍ أمر صعب لتعدد معايير هذا التعريف، ومداخله ومنطلقاته وتعدد الأشكال والمواقع والغايات.[١:١١]

فمصطلح النَّص له دلالات تتفاوت بين العموم والخصوص، والأصل فيه أنَّه مصدر للفعل نصَّ ينصُّ بمعنى الرفع، والإظهار، ونصُّ السنَّة أي: ما دلَّ ظاهر لفظهما عليه من الاحكام[٢:١٢:٢٧٢-٢٧١].

أما عند المحدثين، فالنص: النسيج العام الذي يتألف من خيوط متناسقة على هيأة مخصوصة، ويتعدى الجملة بوصفه سلسلة من الجمل يضبطها مبدآن: مبدأ الوحدة ومبدأ التناسق[٣:٢٢-٢١]، فالتعريفات التي ورد عليها النَّص حديثا كثيرة ومختلفة؛ فبعضها يقصر النَّص على المنجز كتابة، ومنها ما يراعي في التعريف جانب الوظيفة

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

التواصلية، ومنها ما يعتني بعنصر التتابع بين ألفاظ النَّص، ومنها ما يركز على الوظيفة الدلالية للنص[٣:٢٢-٢١] ويذهب كلٌّ من إبراهيم الفقي وسعيد بحيري إلى تبني تعريف(روبرت دي بو جراند) ويعدانه من التعريفات الجامعة، التي يرى النَّص حدثًا تواصليا يشترط لنصيته أن تتوفر له سبعة معايير مجتمعة، وهذه المعايير (الاتساق، الانسجام، القصد، القبول، الاعلام، المقامية، التناص).[٤:١/٢٩]

وتعود الفرضية التي تدَّعي وجود وحدة أكبر من النَّص تتجاوز مستوى الوحدات التي تعترف بها اللسانيات عادة وهي(الوحدة الصوتية ،والوحدة الصرفية، والوحدة التركيبية، والوحدة الدلالية)تسعى إلى تسويغ فرضية النَّص بوصفه وحدة لسانية استنادا إلى إمكان تنميط النَّصيَّات إلى ما اتفق على تسميته لسانيات النَّص التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بوجود وحدة أعلى من الجملة، وهي النَّص، ويكون له تركيب خاص به، وتفترض لسانيات النَّص على غرار ما تفترضه اللسانيات التوليدية من قدرة وانجاز أي: هناك قدرة نصية، وانجاز نصي[٥: ٥٥-٥٦].

ويرتبط انسجام نصٍ ما بوجود واسمات لغوية(واسمات الاتساق) مخصوصة في هذا النَّص، إنَّ فرضية لسانيات النَّص تنطلق من إحدى الملاحظات التي أدَّت إلى ظهور (لسانيات النَّص) مفادها وجود بنى صرفية(ألفاظ) يستحيل تأويلها في نطاق الجملة ويعدُّ وجودها في نصٍ ما يشير إلى انسجام هذا النَّص.

٢,٢ . مفهومُ النَّص عند العلَّامة الطباطبائي:

وبعد التحديد المعجمي لمعنى النص، وتعريفات علماء النَّص للنص، علينا أن نبين الرؤية النَّصية للعلامة الطباطبائي، وتصوره عن مفهوم النَّص، يقول العلامة الطباطبائي عن مفهوم النَّص: "البيان القرآني... كلام موصول بعضه ببعض في حين أنَّه مفصول ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض ... فلا يكفي ما يتحصل من آية واحدة بإعمال القواعد المقررة في العلوم المربوطة في انكشاف المعنى المراد منها دون أن يتعاهد جميع الآيات المناسبة لها ويجتهد في التدبر فيها كما يظهر من قوله تعالى:﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ **النساء: ٨٢**"[٦:٣/٨٨] وهذه إشارة واضحة لمفهوم النَّص بمفهوم الدراسات الحديثة التي سعت إلى اجتراح مصطلح أعلى من الجملة؛ لتوضيح الاعتراض الوجيه الذي يتأتى من وجود ألفاظ في الجمل لا يمكن تأويلها بالمعلومات الواردة في الجملة، وكذلك يتعذر اختزال النَّص في التأويلات المتتالية للجمل، الذي يفهم من قول العلامة الطباطبائي في هذا النَّص مقارب لما قالت به لسانيات النَّص التي ترى أنَّ الجمل تشتمل على عناصر لا يمكن تأويلها في مستوى الجملة نفسها، وأن تأويل آية لا يختزل في مجمل تأويلات الجمل التي تؤلّفه وكذلك لا يمكن تأويل النَّص في تأويل الآيات منعزلة غير متصلة، ويمكن قراءة رؤية العلّامة الطباطبائي في النَّص أعلاه على دور الانسجام الذي يعادل دور النحوية في الجمل في ترابط أجزاء الآيات في السورة الواحدة على أقل تقدير.

يقول العلامة الطباطبائي في مكانٍ آخر من الميزان مشيرا إلى رؤيته النَّصية :"على أنَّ كلَّ من يرعى نظره في آيات القرآن من أوله إلى آخره لا يشك في أنَّ ليس بينها آية لها مدلول وهي لا تنطق بمعناها وتضل في مرادها، بل ما من آية إلا وفيها دلالة على المدلول: إمَّا مدلول واحد لا يرتاب فيه العارف بالكلام، أو مداليل يلْتبِس بعضها ببعض، وهذه المعاني الملتبسة لا تخلو عن حق المراد بالضرورة وإلا بطلت الدلالة كما عرفت، وهذا المعنى الواحد الذي هو حق المراد لا محالة لا يكون أجنبيا عن الأصول المسلمة في القرآن كوجود الصانع وتوحيده وبعثة الأنبياء

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وتشريع الأحكام والمعاد ونحو ذلك، بل هو موافق لها وهي تستلزمه وتنتجه وتعين المراد الحق من بين المداليل المتعددة المحتملة، فالقرآن بعضه يبين بعضا، وبعضه أصل يرجع إليه البعض الآخر"[٦:٣/٢٥]، والعلامة من وجهة نظر الباحث يريد القول: القرآن نصٌّ إلهي ولكن تفسيره بشري، ومن واجب كل الناس أن يقرأوا القرآن، ومن حقّهم أن يتفهموه، ويتدبروه، ويدرسوا المفردات التي انطلق منها، لابد للّذين يلتزمون به، أو يخاطَبون به أن يتفهموه، وكأنَّ العلامة يشير إلى البنيات الصغرى والبينات الكبرى ، وإنَّ البنيات الكبرى تتجلى في سلسلة الآيات وبذلك توافق مستوى أكثر شمولية من التحليل الجملي الذي تمثله البنية الصغرى ، ويناقش اشكالية الانتقال من مستوى البنية الصغرى إلى مستوى البنية الكبرى مستعينا بالمعنى الانسجامي بين الآيات مراعيا قواعد الانسجام من قاعدة التكرار، وقاعدة التدرج ،وقاعة عدم التناقض، وقاعدة التعالق بين الآيات في السورة الواحدة، والسورة في النَّص القرآني كله، ويعتمد العلامة على فكرة أنَّ اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي أداة تستخدم لبناء الفهم والمعاني.[٧:٣٣-٣٤]

ويشير العلامة الطباطبائي في مكان آخر إلى مفهوم النَّص قائلاً: "على أنَّه ليس في القرآن آيةٌ أُريد فيها ما يخالف ظاهرها، وما يوهم ذلك من الآيات إنَّما أُريد بها معانٍ يعطيها لها آيات أُخر محكمة، والقرآن يفسر بعضه بعضا، ومن المعلوم أنَّ المعنى الذي تعطيه القرائن متصلة أو منفصلة للفظ ليس بخارج عن ظهوره وبالخصوص في كلام نص متكلمه على أنَّ ديدنه أن يتكلم بما يتصل بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض ويرتفع كل اختلاف وتناف متراء بالتدبر فيه"[٦:٣/٢٥] ، يفهم من هذا النص وفقا لمعيار الانسجام الذي يركز على الوحدة الموضوعية، وبما أن النص الذي يقدمه العلامة يتمحور حول ثبات المعنى القرآني، وعدم مخالفته لظاهره، والتأكيد على أنَّ القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، مشعرا بنصه أنَّ الوحدة الفكرية تشكّل محور الانسجام الرئيسي ،وكذلك القرائن الدلالية، والربط في استعمال ألفاظ مثل:(ما يخالف ظاهرها)،(ما يوهم ذلك)،(المعاني التي تعطيها آيات أخرى)،(يفسر بعضه بعضا)... كلها إحالات متبادلة تبني شبكة ترابط بين الآيات، وكذلك جملة(القرآن يفسر بعضه بعضا) تؤدي وظيفة عقدة نصية تضمن انسجام النص، ومعززا مبدأ التتابع المنطقي، بما يفهم من نصه بنفي وجود آية تخالف ظاهرها، ثم يذكر ما يوهم المخالفة، بعدها يوضح أنَّ المحكمات ترفع هذا الوهم ثم يبين أنَّ القرائن، والاتصال السياقي يحافظان على ظهور المعنى، هذا التسلسل يخلق انسجام نصي، وبما أنَّ علم المناسبة يركز على العلاقات بين الآيات، وعلى أنَّ القرآن الكريم كلا مترابطًا، والانسجام النصي هنا يخدم فكرة المناسبة؛ لأن النص يقرر أنَّ أي معنى يوهم مخالفة يزال عبر آيات أخرى محكمة، وهذا يعكس مبدأ الترابط البنائي بين أجزاء القرآن الكريم: أي أنَّ كلَّ آية مناسبة لأخرى وتفسرها، وجملة(القرآن يفسر بعضه بعضا) هي عين علم المناسبة: أي أن الآيات في سياقاتها الكلية مترابطة لا تنفصل.

٣,٢. مفهومُ المناسبة:

٢,٣,١.المناسبةُ لغةً:

المناسبةُ في اللغة: مصدر من ناسب يناسب مناسبة، ومادة(النون، والسين، والباء) تدور حول معنى:(اتصال شيء بشيء)، ومنه النسب، سمي لاتصاله والاتصال به[٨: ٥/٢٢٥] والمناسبة "تعني المشاكلة والمقاربة"[٩:١٢٧]، والمشاكلة بمعنى:"المماثلة تقول: هذا شكل هذا أي: مثله، وهي مأخوذة من الفعل(نسب):يعني اتصال الشيء

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

بالشيء، ومنه(النسب)أي:القرابة"[١٠: ٢/ ٩١٤]،هذا يقودنا إلى أنّ كلمة(المناسبة) ترادف الملائمة والموافقة والمشاركة والاتصال مما ينم عن ملائمة العناصر، واتصالها في بنية النَّص، أو التلميح إلى الوسائل التي يتحقق بها الانسجام.

٢,٣,٢. المناسبةُ: اصطلاحاً:

المناسبةُ: يعرفها البقاعي:"هي علم تعرف منه علل الترتيب وثمرتها الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط، والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه للترتيب أجزاؤه، وهو سر البلاغة، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال"[١١: ١/ ٥].

ويعرَّفها صاحب أبجد العلوم "بأنَّها هي مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض"[١٢: ١/ ٤٢-٤٣].

ويرى الدكتور مصطفى مسلم بأنَّ المناسبة" الرابطة بين شيئين أي: وجه من الوجوه وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وبعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"[١٣: ٥٨].

ويظهر للباحث أنسب تعريفات للمناسبة التعريف الأخير؛ لأنَّه يحتوي على المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة ، والمناسبة بين السور في القرآن الكريم فضلاً عن أنَّه يطابق رؤية العلامة الطباطبائي في مفهوم المناسبة، ولكن العلّامة الطباطبائي يقيدها بالآيات المتحدة النزول، والآيات التي بينها ارتباط ظاهر، ويمكن أن نستنتج تعريفاً في ضوءِ ما سبق بأنَّ المناسبة: هي دراسة العلاقات داخل النَّص، وكشف الروابط بين الكلام من أجل بيان انسجام النَّص، وإبراز وحدة النَّص القرآني بوصفه بناء محكما متلائم الأجزاء، وبيان الروابط التي تكون الصورة المثلى للمعنى، وبما أن البحث حدوده المناسبة في السورة الواحدة بين آياتها لذا لم نتطرق للمناسبة بين السور.

ويمكن الاشارة إلى أنَّ هناك تقارب بين مفهوم السياق ومفهوم المناسبة، مرجع ذلك إلى اشتراكهما في كثير من الخصائص التي تميز كل واحد منهما، ولكن إن رجعنا إلى الامتداد المفهومي لكليهما وجدنا الفرق الذي يكمن ما بينهما، والفرق بين السياق والمناسبة، يكمن في أنَّ وظيفة المناسبات الكشف عن وجوه الربط بين الآيات وجهة ارتباطها بما قبلها، وما بعدها، ولا يتم الربط إلّا بعد معرفة المعاني التي احتوتها الآيات السابقة واللاحقة، وهذه وظيفة السياق، وذلك من الكشف عن المتتابعة، فإنَّ الذي يشخص المعاني ويشكّلها ويحدد بدايتها ونهاية سياقها، فالسياق خادم لعلم المناسبات، ولا يتم استجلاء المناسبات إلاّ بعد معرفة سياق الآيات القرآنية وحينئذ يتحدد الموضوع، وعليه يكون إبراز المناسبة في غاية الوضوح، ولا ننسى أنَّ العلّامة الطباطبائي يعتمد على السياق اللغوي مركزا على المعنى الحرفي، ولكن يستغل السياق اللغوي في اختيار المعنى المناسب، أو يميل إلى التأويل الذي هو إرجاع الكلام وصرفه عن معناه الظاهري إلى معنى أخفى منه يحتمله لدليل دلَّ عليه.

فالمناسبة إذن، تحقّق الربط بين الآية وما تسبقها من آيات، فهي تحقق الانسجام بين هذه الآيات، وإنَّ علم المناسبة أساسٌ في التفسير؛ لأنَّه يسهل فهم الآيات، ويرجح بين الآراء وهذا ما يعين المفسر على الأخذ بالمعنى الراجح الذي يربط بين الآيات، ويدرأ التأويلات المتعارضة دلاليا مع النَّصوص القرآنية، وجعل أقربها إلى الصواب أكثرها انسجاما مع سياق النَّص، والمناسبة تثبت تلاحم المكي والمدني في السورة الواحدة.

وقد تنبه المفسرون إلى ظاهرة الترابط والانسجام في النَّص القرآني، ومن الذين صنفوا في هذا العلم، أبو جعفر إبراهيم بن الزبير الغرناطي الأندلسي(ت٧٠٨هـ) في كتاب سماه(البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن)، ومن أوسع

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المراجع في هذا العلم كتاب(نظم الدرر في تناسب الآيات السور) لبرهان الدين البقاعي المتوفي(٨٨٥هـ) حيث ذكر المناسبات بين آيات القرآن الكريم سورة سورة، ولديه ولع في استعمال التفسير الإشاري، واستعمال حساب الجمل، وإيراد ما في التوراة والإنجيل، وقد أُخذ عليه ذلك [١٤:٦٢].

وكذلك أجاد السيوطيُّ(ت٩١١هـ) في ايضاح معنى المناسبة، وتطبيقاتها في القرآن الكريم بقوله: "المناسبةُ في اللغة كالمشاكلة والمقَاربة، ومرجعها في الآيات ونحوهما إلى رابط بينهما عام، أو خاص، أو عقلي، أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين، ونحوه، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصبح التأليف حالته حال البِناء المحكمِ المتلائم الأجزاء"[١٥:١/١٠٨]، وما يذكره السيوطي مقارب لما نظّر له اللغوي(شارول) لقواعد الانسجام من تكرار، وتدرج، وعدم التناقض، وقواعد التعالق[٧:٣٥]، وإنَّ آليات الانسجام التي قال بها المحدثون تبدو لها حضور عند القدامى وهذا يؤكده نص السيوطي المذكور أعلاه، والسيوطي يؤكد فهمه لمفهوم المناسبة في مؤلف آخر له(معترك الاقران في إعجاز القرآن): "أما تناسق الآيات داخل السورة نفسها وداخل القرآن كله، فيعرف بطريق النظر الى الغرض الذي سيقت له السورة، وما يحتاج اليه ذلك الغرض من مقدمات....فهذا هو الأمر الكلّي المعين على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن"[١٦: ٢/٤٢] الذي يشير إليه السيوطي من مفهوم الغرض: أي الكيفية التي يحدث فيها الانتقال من موضوع إلى آخر، وهذه الاشارة تكاد تقترب من قواعد الانسجام التي قال بها اللغوي (شارول) قاعدة التدرج في كلامه عن آليات الانسجام[٧: ٣٥-٣٦]، وهذه القاعدة يكون حضورها ضمنا لوجود واسمات لغوية تدل على حضور المناسبة التي تقابل مصطلح الانسجام عند المحدثين: أي من حيث الدلالة المفهوم واحدة، الاختلاف في الاصطلاح، وهذا ما يهدف البحث لإثباته بأن التراث زاخر بمفاهيم اللسانيات النصية، ولكن المناهج والمرجعيات المعرفية مختلفة.

٢-٤-٢ الانسجام النصي:

٢-٤-٢-١الانسجام لغة: جاء في معجم مقاييس اللغة "السين والجيم والميم أصل واحد، وهو صب الشيء من الماء والدمع، يقال سجمت العين دمعها، وعين سجوم، ودمع مسجوم، ويقال أرض مسجومة، ممطورة"[٨: ١٣٦/٣]،وأورد ابن منظور في مادة(سجم):"سجمت العين الدمع والسحابة الماء وسجمه سجما وسجوما، وسجمانا: وهو قطرات الدمع وسيلانه، قليلاً كان أو كثيرا،... وانسجم الماء والدمع، فهو منسجِم إذا انسجم أي انصب..."[٢: ٣١/٧].

إنَّ المتابع للمعاني المتعلقة بمادة (سجم) يجدُ أنّها تدور حول القطران والصبِ والسيلان وهذه المفردات توحي بالتتابع والانتظام وعدم الانقطاع في الانحدار، وإذا ربطنا هذه المعاني بالكلام نجد الانسجام هو أن يأتي الكلام متحدرا كتحدر الماء المنسجم.

٢-٤-٢-٢ الانسجام اصطلاحًا:

يعدُّ مصطلح الانسجام أحد المصطلحات التي تباينت أراء الدارسين بشأنه وذلك عن طريق إيجاد مقابل عربي له، بحيث كان لكل دارس مصطلح معين مقابل للمصطلح الأجنبي(Coherence) فقد اختار سعيد حسن البحيري مصطلح التماسك، وسماه محمد خطابي وصلاح فضل الانسجام، وترجم فالح العجمي الانسجام إلى(التناسق)،

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وقريب من ذلك ترجمة الهام أبي غزالة وعلي حمد خليل فقد أطلقا على الانسجام(التقارن)، في حين تتقارب التسمية عند صبحي إبراهيم الفقي ويوسف نور عوض، فالأول يطلق على الانسجام التماسك الدلالي أو المعنوي، والآخر يطلق عليه الترابط الفكروي، واختار الباحثان سعد مصلوح ومحمد العبد مصطلح الحبك[١٧:١٠٨-١٠٩]، واختار الباحث مصطلح الانسجام؛ لأنَّ الانسجام يعدُّ من أكثر المصطلحات انتشارا قياسا بغيره من المصطلحات المستعملة في الدراسات النصية

فالانسجام يعمل على بناء النص أكثر ترابطًا وأكثر تماسكًا مما يحقق التواصل بين المتلقي والمنتج والنص، وبه يصل إلى غاية إبداعه "أن يكون الكلام لخلوه من الانعقاد منحدرا كتحدر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه، وعذوبة ألفاظه ...، وقد جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه"[١٦/٢:٥٩]، فمن هذا المفهوم يتضح جليا أنَّ الانسجام لا يتحقق إلا بالانتظام، وإنَّ النص وحدة كبرى منتظمة، وليست رصفًا عشوائيا للجمل، إذ يقوم محلله بالانتقال من المستوى الأفقي له وصولًا إلى المستوى العمودي، لاستقصاء مدى انسجامه، وهذا يكون بتفسيره، واستنطاق مكامنه، وكشف خباياه، والانسجام يعمل على تحقيق الاستمرارية في النص، فنجد أنَّ الانسجام يتصل إلى رصد وسائل الاستمرار الدلالي، أو العمل على إيجاد الترابط المفهومي.

الاطار التطبيقي: المناسبةُ بين آيات السّورة الواحدة (الانسجام النَّصي):

يعرف المحدثون الانسجام هو الخاصّية المحددة للنصوص، أو هو مجموعة من القواعد التي تتحكم في التنظيم النَّصي لوحدات النَّص في لغة معطاة، وهناك من يفترض الانسجام كما يفترض النحوية في الجملة مقارنا بينهما، تعدُّ الجملة متوالية من البنى الصرفية جملة إذا وفقط كانت نحوية، والنحوية هي الخاصية المحددة للجمل، إذ يعدُّ الانسجام متوالية من الجمل نصا إذا وفقط كانت منسجمة[٧:٩٤].

ومن الآيات التي وقف عندها العلّامة موضحا فيها مفهوم المناسبة الذي يقابل مصطلح(الانسجام النَّصي) قوله تعالى:**(وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ(١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[لقمان:١٢-١٣]** يقول العلامة الطباطبائي:"... إشارة إلى إيتاء لقمان الحكمة ونبذة من حكمه ومواعظه لابنه ولم يذكر في القرآن إلا في هذه السورة ويناسب المورد من حيث مقابلة قصته الممتلئة حكمة وموعظة لما قص من حديث من كان يشتري لهو الحديث؛ ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا"[١٦/٦:٢٠١٩]، هنا نجد إشارة واضحة لمعيار الانسجام في الجمع بين غرضين مختلفين، من خلال مقابلته بين قصة من كان يشتري لهو الحديث التي ذُكرت في الآية السابقة قال تعالى:**﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[لقمان:٦]** وقصة لقمان الممتلئة حكمة التي تُشير إلى عبادة الله وتحث على الابتعاد عن الشرك وأنّ الشرك ظُلم عظيم، نجد هناك من يشتري بأمواله اللهو؛ ليمنع الناس من الاستماع للقرآن الكريم، فالعلامة يتكلم عن المناسبة التي لا تختلف من حيث المفهوم عن مفهوم الانسجام التي قالت به اللسانيات الحديثة ولاسيما لسانيات النَّص، هناك رابط معنوي يربط بين الحدثين والفرق بين من يدعو الى العمل الصالح والخلق الرفيع وبين من يدعو الى اللهو

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

والابتعاد عن طاعة الله، وقاعدة عدم التناقض التي قال بها شارول نجدها واضحة في ذهن العلامة عندما يتدرج في تنامي النَّص بتداعي المعاني التي تجدد النَّص باستمرار.

وقد حدد العلامة الطباطبائيُّ معنى اللهو "وإنَّ لهو الحديث ما يشغلك عما يهمك، الحديث الذي يلهي عن الحق بنفسه كالحكايات الخرافية والقصص الداعية إلى الفساد والفجور،...." [٦: ٢١٤/١٦].

ويشير العلامة الطباطبائيُّ إلى العلاقات المتكونة من الانسجام الحاصل بعد معرفة سياقها وهو بذلك يتقارب مع رأي النَّصيين المحدثين، ويقارب ما يقوله محمد خطابي: "ينظر عادة إلى العلاقات التي تجمع أطراف النَّص أو تربط بين متواليات دون وسائل شكلية تعتمد في ذلك على أنَّها علاقات دلالية"[٢٢٩:١٨] : يرى العلامة أنَّ هناك مناسبة بين من يدعو إلى ترك الشرك وبين من يدعو الى الشرك بإغفال الناس عن العمل الصالح الذي أعلى قمته الاستماع لقوله تعالى واتباع أوامره والالتزام بنواهيه، ويستعمل العلامة مفهوم المناسبة لتفسير بعض الآيات بناء على آيات أخرى، حيث يستشهد بآيات من سور مختلفة لتوضيح المعاني والمفاهيم، مما يعزز من فهم القارئ للعلاقة بين النَّصوص.

وهذه العلاقات الدلالية المتواجدة عبر مساحة النَّص تحقق تماسكًا دلاليا بين بنياته، ولها دور الإخبار من أجل تحقيق درجة معينة من التواصل؛ لأنَّ بنيته الدلالية التي تربط النَّص قائمة عبر هذه العلاقات المعنوية، والمناسبة توصل إلى العلاقة وهذه العلاقة بدورها تقتضي مرجعية من أحد المتناسبين إلى الآخر وتحققت هذه المرجعية التي أشار إليها العلامة الطباطبائيُّ بالمقابلة التي تحقق الانسجام بينهما، وهنا تظهر العلاقة القائمة بين المناسبة والانسجام. المناسبة ← العلاقة ←المرجعية ←الانسجام[٢٢٩:١٨].

ومن الشواهد على الانسجام عند العلامة قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾[البقرة: ٢٤٣]، يقول العلامة الطباطبائيُّ :"الرؤية هاهنا بمعنى العلم، عبر بذلك لدعوى ظهوره بحيث يعد فيه العلم رؤية فهو كقوله تعالى:﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾[إبراهيم:١٩]، **قوله تعالى:**﴿**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا**﴾[نوح:١٥]"[٢٨٥/٢ :٦]، وهذا من المناسبة بين الآيات من سور مختلفة، ويرى العلّامة أنَّ النَّص القرآني نص واحد متماسك، ومنسجم، والرابط المعنوي المتكرر يعمل كآلية انسجام تجعل المتلقي يشعر أن النص كله وحدة موضوعية كبرى، وبما أنَّ الانسجام من المفاهيم التي وظفتها لسانيات النَّص في الكشف عن التلاحم القائم بين الجمل، والفقرات والنَّص بكامله وهذا ما أكد عليه:(دي بوجراند) الذي يرى أن الانسجام مجموع الإجراءات التي تؤدي إلى ترابط الأفكار ترابطًا منطقيا مبنياً على ترتيب الأحداث، والمناسبات، وكذلك على الخبرة، وما يتوقعه الناس[٤٧:١٩]، وهذا التنظير نجده معمولا به عند العلّامة الطباطبائي في الآيتين اللتين قادتا إلى ضرورة ترابط الألفاظ، والأفكار ترابطًا منسجما مع بعضه من غير أن ينسى القدرات، والخبرات التي يمتلكها القارئ، والطباطبائي في تحليله النَّصي من خلال ربط الافكار التي ذكرت في آيتين جاءت في سورتين مختلفتين، ويقارب ما أكد عليه(فانديك)، بأن الانسجام الدلالي يتواجد بين الأبنية النَّصية الكبرى[٢٢٩/١٨] إذ ربط العلّامة بين الانسجام النصي، والبنية العميقة، بينما التماسك الشكلي يخص البنية السطحية للنصوص،

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

فالأول يدرس الانسجام، والثاني يهتم بها الاتساق، فالانسجام عند العلّامة الطباطبائي، عبارة عن مجموعة من العلاقات الدلالية التي تربط الأجزاء الكبرى للنص في بنيته العميقة، يظهر أن الانسجام موجود داخل النَّص ،وهو يعتمد على الترابط المنطقي للأفكار والجمل، هذا هو مفهوم المناسبة التي تناقلته كتب التفسير، ونجده مطبقا في تفسير الميزان، فإذا كانت المناسبة دقيقة المعنى، منسجمة مع السياق، متفقة مع الأصول اللغوية في علوم العربية، كانت مقبولة لطيفة، ولا يعني هذا أنَّ يلتمس لكل آية مناسبة، فإنَّ القرآن الكريم نزل متفرقا حسب الوقائع والأحداث، وقد يدرك ارتباط آياته وقد لا يدركها .

ويقف العلامة الطباطبائيُّ عند قوله تعالى:﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾[البقرة:٢٤٣]"الأمر تكويني ولا ينافي كون موتهم واقعا عن مجرى طبيعي كما ورد في الروايات: أنَّ ذلك كان بالطاعون، وإنَّما عبر بالأمر، دون أن يقال: فأماتهم الله ثم أحياهم؛ ليكون أدل على نفوذ القدرة وغلبة الأمر، فإنَّ التعبير بالإنشاء في التكوينيات أقوى وأكثر تأكيدا من التعبير بالإخبار كما أنَّ التعبير بصورة الإخبار الدال على الوقوع في التشريعيات أقوى وأكثر تأكيدا من الإنشاء، ولا يخلو قوله تعالى:(**ثُمَّ أَحْيَاهُمْ**) من الدلالة على أنَّ الله أحياهم؛ ليعيشوا ،فعاشوا بعد حياتهم، إذ لو كان إحياؤهم لعبرة يعتبر بها غيرهم أو لإتمام حجة أو لبيان حقيقة لذكر ذلك على ما هو دأب القرآن في بلاغته كما في قصة أصحاب الكهف، على أنَّ قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ**﴾ يشعر بذلك أيضا"[٢٨٥/٢:٦]، هذه الأمثلة توضح كيف أنَّ مفهوم المناسبة يساعد في فهم النَّص القرآني بشكل أعمق، بربط الآيات والسور بناء على السياقات المختلفة، والأهداف التعليمية، والدينية، ويشير العلامة الطباطبائيُّ إلى بلاغة النَّص القرآني، وإنَّ تضافر أكثر من عامل يؤدي إلى الانسجام، وليس عاملاً واحدا، فوحدة الفكرة والظروف، والوسط الناقل للنص، والمتلقي وطبيعته، كل ذلك بما تنطوي عليه التفصيلات، يؤدي إلى انسجام النَّص.[٣٤٠:٢٠]

وبعد أنَّ فسَّر العلامة الطباطبائيُّ قوله تعالى:﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾ [البقرة:٢٤٣] وضَّح لنا الانسجام بقوله: "الإظهار في موضع الإضمار أعني تكرار لفظ الناس ثانيا لما فيه من الدلالة على انخفاض سطح أفكارهم، على أنَّ هؤلاء الذين تفضل الله عليهم بالإحياء طائفة خاصة، وليس المراد كون الأكثر منهم بعينهم غير شاكرين بل الأكثر من جميع الناس، وهذه الآية لا تخلو من مناسبة ما مع ما بعدها من الآيات المتعرضة لفرض القتال، إما في الجهاد من إحياء الملة بعد موتها"[٢٨٥:٢/٦]،وهنا إشارة واضحة لمفهوم المناسبة الذي يقارب بل في بعض الأحيان يتطابق كليا مع الانسجام النصي الذي هو أحد مكونات اللسانيات النصية الرئيسة إذ يشكل الاتساق والانسجام قطبي الرحى في اللسانيات النصية إذ يتعلق الاتساق بالروابط الشكلية، والانسجام بالروابط الدلالية، وهذا ما أشار له تمام حسان في كتابه اللغة معناها ومبناها، بأن انسجام النَّص، وترابطَ أجزائه يعتمد أولاً الناحية الدلالية، ثم اللغوية بأدواتها المختلفة ، إذ تعمل علوم البلاغة على ربط ما يبدو غير منسجم منطقيا، مرورا بالجانب الصوتي والصرفي والنحوي، فالتركيب النحوي نظام من معاني العلاقات التي لا تجد تعبيرا شكليا عنها إلا فيما يقدمه الصرف من خلال المباني والقرائن اللفظية [١٣٥:٢١] .

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

يوضح السيوطي هذه القاعدة النحوية التي يستعين بها العلامة الطباطبائي لا للجانب النحوي بل للجانب الدلالي الذي يخدم ترابط النص وانسجامه "والأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، والأصل في المسند إليه كذلك ،فإذا ذُكر ثانية ذكر مضمرا ؛ لأنّه أوجز ،والاستغناء عن إظهاره بالظاهر السابق، لكن المتكلّم قد يؤثر الإظهار في موضع الإضمار، لخروج المتكلم عن خلاف الأصل"[٢٢:٢/٤٨٤-٤٨٥]، وقد ذكر السَّكاكي(ت٦٢٦هـ) فائدة هذا الفن بقوله "يوضع المظهر موضع المضمر إذا أريد تمكين نفسه زيادة تمكين"[٢٣:١/١٩٨]، وذكر ابن الأثير(ت٦٣٧هـ)أنَّ "هذا إنما يعمد إليه لفائدة، وهي تعظيم شأن الأمر الذي أظهر عنده الاسم المضمر أولاً"[٢٤:٢/٢٤]، وهذه النَّصوص التي تعد نواة لتحليل النَّص قد اطلع عليها العلامة، وإن لم يشر اليها، وهذا ما اعتاد عليه المفسرون جميعا بعدم التنصيص نجد فهمه العالي لمفهوم المناسبة التي قاربت مفهوم الانسجام النصي، وقد ظهر أثر ذلك من خلال-التفاتاته الفريدة ،والرائعة في تفسير هذه النَّصوص لتقريب الصورة التي يريدها النَّص القرآني .

ويشير العلامة الطباطبائيُّ إلى علاقة أخرى هي علاقةٌ منطقيةٌ بين إحيائهم بعد الموت بقدرته، وإحياء الملة، وتقتضي المناسبة وجود علاقة بين المناسبتين في النَّص القرآني، وقد تكون العلاقة ظاهرة أو غير ظاهرة، والعلاقة تقتضي مرجعية من أحد المناسبتين إلى الأخرى، ويؤدي تفاعل العلاقات إلى تحقيق تماسك النَّص القرآني[٢٥/١٦١].

ويرى العلامة الطباطبائيُّ أن الوحي هو هدف معرفي يتعلّق بالهداية الهادفة إلى إيصال الإنسان إلى غايته ،والمعرفة الوحيانية مشمولة، بشكل أو بآخر، بالأحكام التي تحكم المعرفة، وبتعبير آخر، إنَّ المعرفة بشكل عام تتقيد ببعض المحددات المرتبطة بالظروف المكانية والزمانية، وأيضا ببعض المحددات الاجتماعية، فكذلك الوحي، فما دام الوحي نوعا من أنواع المعرفة، فهو يتقيد بتلك المحددات بشكل أو بآخر، وحقيقة الوحي عند العلّامة الطباطبائي؛ بأنه: نوع من أنواع المعرفة والتعليم الإلهي، ونوع من أنواع المعرفة الحضورية حصرا، ويمتاز بالعصمة نزولاً، تلقّيا، وتبليغا؛ إنه شعور رمزي، إنه خارق للعادة ،لا يغلب، خفي عن الحواس[٦:٢/٢٨٥].

ويقول العلامة الطباطبائي:"وللآية نظائر في القرآن كقوله تعالى:﴿**وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ**﴾[البروج:٧]، وقوله تعالى:﴿**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** [الأعراف:١٨١]"[٦:٢/٢٨٥] وبعد عرضه نظائر للآيات التي يستحضر انسجامها أمَّا عن طريق اتساقها أو عن طريق المناسبة بين مضامينها بقوله:" إنَّ الآية لو لم تحمل على التمثيل لم ترتبط بما بعدها من الآيات بحسب المعنى، وأنت تعلم أنَّ نزول القرآن متفرقا يغني عن كل تكلف بارد في ربط الآيات بعضها ببعض إلا ما كان منها ظاهر الارتباط، واضح الاتصال على ما هو شأن الكلام البليغ، فالحق أنَّ الآية كما هو ظاهرها مسوقة لبيان القصة، وليت شعري أي بلاغة في أن يلقي الله سبحانه للناس كلاما لا يرى أكثر الناظرين فيه إلا أنَّه قصة من قصص الماضين، وهو في الحقيقة تمثيل مبني على التخييل من غير حقيقة "[٦:٢/٢٨٥]، يرى العلّامة الطباطبائي هنا خطاب تربوي رمزي يراد به بناء الوعي والايمان، والقرآن الكريم يقدم نماذج إنسانية لا مجرد حوادث واقعية؟

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ويرى العلامة الطباطبائيُّ أنَّ "القرآن الكريم كلام كسائر ما يتكلّم به الناس، ويدلُّ دلالة واضحة على معانيه المقصودة، وليس فيه خفاء على المستمعين، ولم نجد دليلاً على أنَّه يقصد من كلماته غير المعاني التي ندركها من ألفاظه وجمله، أما وضوحه في دلالته؛ فلأنَّ أي انسان عارف باللغة العربية بإمكانه أن يدرك الآيات الكريمة كما يدرك معنى كل قول عربي"[٢٧:٢٦].

وتتضح للباحث رؤية العلامة الطباطبائيُّ النَّصية مبرزاً الانسجام النَّصي، ويقترب بهذه الرؤية من الدراسات النَّصية الحديثة،وإنَّ دراسة الانسجام النَّصي القائم على أساس العلاقة بين الوحدات النَّصية بقطع النظر عن تتابعها المكاني تصبح أكثر ضرورة في الحالات التي قد يبدو فيها النَّص مفككا أو متعارضا في الظاهر، لكن سرعان ما ينكشف لمحلل النَّص أو قارئه أنَّ وراء ذلك بينة محكمة منسجمة تتضمن تماسك النَّص وانسجامه، وهذه إشارة واضحة إلى المناسبة ولكن بشرط عدم الالتزام بالترتيب التوقيفي الذي التزم به المفسّرون؛ لأنَّه يؤدي إلى التأويل والعلامة الطباطبائيُّ له رأي مختلف في معنى التأويل فهو عنده تصيير الآيات إلى مرجع تؤول إليه[٣:٦ /٣٥١].

يرى العلامة الطباطبائيُّ أنَّ التأويل لا يعني صرف الظاهر عن معناه إلى معنى آخر، كما هو شائع لدى اتجاه كبير من اتجاهات البحث التفسيري لا سيما بين المتأخرين، وإنَّما التأويل هو المرجع والمصير، ومن ثم فإن تأويل الآيات يعني تصييرها إلى مرجع تؤول إليه، ويؤكد العلامة الطباطبائيُّ على أنَّ القرآن الكريم هو الذي رسم هذا المعنى وحدده للتأويل، بما يترتب عليه من أنَّ التأويل سيغدو حقيقة خارجية لها واقع، وليس هو من قبيل المفاهيم والمعاني اللفظية، بل هو أمور عينية وحقائق متعالية، "إنَّ الحقَّ في تفسير التأويل أنَّه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم أو موعظة أو حكمة، وأنَّه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها ومتشابها، وأنَّه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هي من الأمور العينية المتعالية من أن يحيطَ بها شبكات الألفاظ، وإنما قيدها الله تعالى بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب فهي كالأمثال تضرب ليقرب بها المقاصد وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع...، ولم يستعمل القرآن لفظ التأويل... إلّا في المعنى الذي ذكرناه."[٣٥١/٣:٦]

فالنص يقدم حجة متدرجة: تحديد حقيقة التأويل(حقيقة واقعية)، ونفي كونه مجرد مدلول لفظي، مع بيان أن الألفاظ مجرد وسيلة تقريبية، والاستشهاد بالقرآن باستعماله للفظ (التأويل) في هذا المعنى، هذه الخطوات المترابطة التي تحقق انسجام النص على مستوى البناء المنطقي، والنص منسجم بفضل: الوحدة الموضوعية: كل الجمل تصب في بيان طبيعة(التأويل)، والروابط المعنوية المتكررة:(الحقيقة، الألفاظ، التقريب، الاستعمال القرآني)، البنية الحجاجية: انتقال منطقي من التعريف إلى النفي ثم إلى التوضيح.

ويقول العلّامة رأيه في التأويل: "إنَّ ظواهر الآيات تكون كأمثال بالنسبة إلى البواطن، ويعني بالنسبة إلى المعارف الإلهية التي هي أعلى مستوى من أفهام العامة، فتكون تلك الظواهر كأمثال تقرب المعارف المذكورة إلى الأفهام، يقول جل جلاله:﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا**﴾[الأسراء: ٨٩]"[٢٨:٢٦]، ومن أهم القضايا التي ذكرها العلامة الطباطبائيُّ في الميزان قضية انسجام النَّص القرآني دون الالتفات إلى الترتيب التوقيفي للآيات الذي التزم به علماء المسلمين، ونظر إلى الآيات المتباعدة نظرة موحدة متآلفة، وإنَّه يؤيد في مناسبات عدَّة وجود المناسبة بين الآيات، وفي أحيان أخرى لا يرى مناسبةً بين الآية والآيات التي

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

قبلها، والتي بعدها، قارا في ذهنه ما قاله الرازي "ومن تأمَّل في لَطَائف نظْمِ هذه السورة وفي بدائعِ ترتيبها علم أَنَّ القرآن كما أَنَّه معجزٌ بحسب فَصاحة أَلْفاظه وشرف معانيه، فهو أَيضاً معجزٌ بحَسب ترتيبه ونظمِ آياته ولعلَّ الذين قالوا: إنَّه معجزٌ بحسب أُسلوبه أَرادوا ذلك "[٢٧:٧/٢٠٦].

وهذا التحليل النَّصي الذي يعرضه العلامة الطباطبائيُّ ينمُّ عن قراءة نصية واعية تتماثل مع ما يذكره علماء النَّص المحدثون في معيار الانسجام يقول(فان ديك): "إنَّ النَّص لكي يشكل وحدة لا بد أن يكون منسجما"[٢٨/٣١]، فهو يرى أن التماسك يتجسد في خاصية الانسجام التي تولد النظرة الكلية للنَّص من غير الفصل بين أجزائه مما يجعله يظهر كنسيج واحد وبنية كلية، وهذه الرؤية النَّصية عند العلامة الطباطبائي نجدها عند مناقشته الآراء التي قيلت في تفسير الآية مستعينا بالسياق في استيضاح مكنون الآيات مقارب ما يقوله النَّصيون:"إنَّ التحليل النَّصي يعتمد على السياق في الكشف عن اتساق النَّص وانسجامه وتماسكه, وتزداد أهمية السياق في التحليل النَّصي عند خفاء الروابط أَو غيابها، فقد يكون النَّص خاليا من الأدوات الشكلية المعروفة لتحقيقَ التماسك النَّصي حتى يكاد المتلقي يصل إلى درجة اليأس من فهم هذا النَّص، فيستعين بالسياق المحيط بالنص لصنع علاقات ضمنية غير محسوسة بين أجزاء النَّص ومن ثم يتماسك النَّص أمامه كما لو كانت أدواته الشكلية موجودة"[٢٩:١٥٧]، والنصُّ ينتج معناه بحركة جدلية، أو تفاعل مستمر بين أجزائه ومن ثم ينظر إلى الانسجام الداخلي بين الدلالات فينزاح الستار عن ذلك التساوق بين المضامين في إطار بنية كلية ذات مضمون أشمل، وهذا ما استثمره العلامة الطباطبائي في تحليلاته المستفيضة في مناقشة الآراء التي قيلت في مناسبة الآية مع الآيات التي قبلها والتي بعدها، وأشار أحد الباحثين المحدثين(أبو موسى محمد محمد) إلى أن النحو ما هو الا تحليل نص، لأنَّ النَّظر في علاقات الكلمات، وروابطها، ومعرفة مواقعها من الإعراب نظر في بنية النَّص، وتحليل هذه البنية، وقول النُّحاة هذا حال، وهذا تمييز وهذا مبتدأٌ، وهذا خبر، وهذه واو الحال، وتلك عاطفةٌ، أو مستأنفةٌ، إلى آخر تدقيق بالغ في تفسير النَّص، وكلامهم في الفرق بين الحال، والتَّمييز والصفة والفرق بين الواوات، والفاءات، والماءات، كل هذا من أدق ما يدرك في دلالة النَّص وفيه من الدقة واللطف والخفاء ما يروق ويروع، ويدهش، وكل هذا وأكثر منه وأوسع وأضبطُ عند الفقهاء الذين يستنبطون مراد الحَقِ من كلام الحق سبحانه، ومنهجهم في التفسير والتحليل والتحديد والاستنباط بلغ الغاية في الحذر والدِّقَّة والمرونة، ولهم ضوابطُ محكمةٌ تصلُح أن تكون أساسا في علمِ تحليل النَّص[٣٠: ٣٢٤]، وإنَّ النحاة العرب عدوا الجملة وحدة اساسية في اللغة ولذلك كان النحاة الاوائل يفتتحون دراساتهم بالقسم النحوي أول المستويات في دراسة اللغة والمدرسة الهيكلية تعدُّ المستوى النحوي أول المستويات في دراسة اللغة من الميزات اللغوية التي ألح عليها الهيكليون ما يسمونه بابداعية اللغة بمعنى أن من يتكلم لغة ما قادر على انشاء عدد لامتناهي من الجمل التي لم يسمعها من قبل، وابداعية اللغة كانت واضحة عند سيبويه وابن جني، وكثير من النحاة وقد التقطها، وبنى عليها تحليله النصي العلامة الطباطبائي.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الخاتمة:

1- يتعامل العلّامة االطباطبائي مع القرآن بوصفه وحدة نصية كبرى، يفسر بعضه بعضاً، هذا التصور ينسجم مع فكرة اللسانيات النصية التي ترى النص أكبر من مجموع الجمل، إذ يقوم على الروابط المعنوية المتكررة والوظائف السياقية.

2- يرى العلامة الطباطبائي أنَّ التأويل حقيقة واقعية قائمة وراء الألفاظ، والألفاظ مجرد وسائل تقريبية، وهذا الفهم يعكس انسجاماً عميقاً، لأن المعنى يتجاوز حدود المفردة ليشكل رابطاً مع بقية النصوص القرآنية.

3- يرى العلّامة الطباطبائيُّ أنَّ تكرار الكلمات المحورية في السورة الواحدة أسهم في الانسجام الافقي، تمهيدا للانسجام الكلي بعد ذلك.

4- إنَّ تحديد انسجام النَّص القرآني لا يتم بآليات وأدوات نهائية ثابتة، فهي ليست قوانين مطلقة يتبعها كل باحث أثناء دراساته، ودليل ذلك تنوعها عند المفسرين والاختلاف في تصنيفها.

5- ظهر للباحث أنَّ ما قاله بعض اللغويين والمفسرين العرب القدامى، وركز عليه الطباطبائيُّ في تفسيره في مفهوم المناسبة، لا يختلف عما توصل إليه اللغويون المحدثون في هذا الخصوص، وهذا يجعلنا نؤيد من يذهب إلى أنَّ التراث اللغوي العربي القديم يزخر بنظرات وآراء صائبة حول مختلف القضايا والظواهر اللغوية.

CONFLICT OF IN TERESTS
There are no conflicts of interest

المصادر

- القرآن الكريم

[١] زناد الأزهر، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت،(١٩٩٣م).

[٢] ابن منظور جمال محمد مكرم(ت٧١١هـ): معجم لسان العرب، الطبعة الثالثة طبعة جديدة محققة، دار صادر، بيروت، لبنان،(٢٠٠٥م).

[٣] المتوكل أحمد: الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط: طبعة الاولى، الناشر منشورات الاختلاف –الجزائر ودار الامان –الرباط،(٢٠١٠م).

[٤] محمد شبل عزة: علم لغة النص النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، مطبعة الآداب، القاهرة،(٢٠٠٧م).

[٥] بوقرة نعمان: لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والاجراء، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٠١٢م).

[٦] الطباطبائي حسين محمد(ت١٩٨١م): الميزان في تفسير القرآن، الطبعة الأولى، صححه واشرف على طباعته الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت–لبنان،(١٩٩٧م).

[٧] موشلار جاك آن روبول: تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب ترجمة لحسن بو تكلاي: كنوز المعرفة، عمان الاردن،(٢٠٢٤م).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[٨] ابن فارس أحمد(ت٣٩٥): مقاييس اللغة: تحقيق، عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر،(١٩٧٩م).
[٩] آبادي الفيروز يعقوب محمد مجد الدين(ت٨١٧هـ): القاموس المحيط، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،(٢٠٠٥م).
[١٠] مصطفى إبراهيم، الزيات أحمد حسن، عبد القادر حامد، النجار محمد علي: قام بإخراج المعجم الوسيط، الطبعة الخامسة، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر،(٢٠٠٧م).
[١١] البقاعي إبراهيم ابو الحسن(ت٨٨٥هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، الطبعة الثانية: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(٢٠٠٣م).
[١٢] صديق خان محمد أبو الطيب(ت١٣٠٧م): أبجد العلوم، الطبعة الاولى الناشر، دار ابن حزم(٢٠٠٢م).
[١٣] مسلم مصطفى: مباحث في التفسير الموضوعي، الطبعة الرابعة، دار القلم(٢٠٠٥م).
[١٤] بازمول سالم عمر محمد: علم المناسبات في السور والآيات، الطبعة الأولى المكتبة المكية،(٢٠٠٢م).
[١٥] السيوطي أبو بكر عبد الرحمن جلال الدين(ت٩١١هـ): الإتقان في علوم القرآن الطبعة الأولى، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، بيروت، لبنان،(١٩٩٧م).
[١٦] السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين(ت٩١١هـ) معترك الاقران في إعجاز القرآن: تحقيق: أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى الكتب العلمية، بيروت، لبنان(١٩٨٨م).
[١٧] علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: د.سعيد حسن بحيري، الطبعة الأولى،مؤسسة المختار، القاهرة ،١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
[١٨] خطابي محمد: لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،(٢٠٠٦م).
[١٩] بن عروس مفتاح: الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، (٢٠٠٨م).
[٢٠] جنيد الاول نوح: ظاهرة المناسبة واتساق النص القرآني، بحث منشور في مجلة حوليات التراث جامعة مستغانم، العدد١١،(٢٠١١م).
[٢١] حسان تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، الطبعة الخامسة، عالم الكتب القاهرة، (٢٠٠٦م).
[٢٢] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(ت٧٩٤هـ) البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة المكتبة دار التراث، القاهرة،١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
[٢٣] السكاكي أبو يعقوب: مفتاح العلوم:(ت٦٢٦هـ)، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،(١٩٨٣م).
[٢٤] ابن الأثير الكاتب: أبو الفتح، *ضياء الدين* (ت٦٣٧هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الاولى، المكتبة: الناشر العصرية – بيروت،(١٩٣٩م).
[٢٥]الانسجام في القرآن الكريم(سورة النور أنموذجا): نوال لخلف أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ٢٠٠٧م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الزركشي عبد الله محمد بدر الدين(ت٧٩٤هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة المكتبة دار التراث، القاهرة،(١٩٨٤م).

[٢٦] الطباطبائي حسين محمد:(ت١٩٨١هـ) القرآن في الاسلام، المترجم أحمد الحسني، الطبعة الأولى، مؤسسة المحبين للطباعة والنشر،(٢٠٠٤م).

[٢٧] الرازي عمر محمد فخر الدين(ت٦٠٤هـ): التفسير الكبير، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، (٢٠٠٠م).

[٢٨] ابن الدين بخولة: التماسك النصي بين الدراسات البلاغية القديمة والدراسات اللسانية النصية الحديثة، عود الند مجلة شهرية ثقافية العدد ٨٠(٢٠١٣م).

[٢٩] بحري حسن سعيد: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الطبعة الأولى، مؤسسة المختار، القاهرة (٢٠٠٤م).

[٣٠] أبو موسى محمد محمد قراءة في الأدب القديم، الطبعة الرابعة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر بالقاهرة،(٢٠١٢م).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq